

علاقة العبادة بحركة المجتمع السياسية



علاقة العبادة بحركة المجتمع السياسية

2007-08-21

احمد حسين يعقوب

الحمد للذي هدانا لدين الإسلام، وألف بين قلوبنا فجعلنا بهذه النعمة الإلهية إخواناً {لو أنفقت ما في الأرض جمِيعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله أَلْفَ بينهم}.

وأصلى وأسلم على نبيه الكريم محمد الذي بلغنا هذه الأمانة، وأدى هذه الرسالة وجاحد في الله حق جهاده، حتى أرسى القواعد الأساسية لأمة الإسلام، وأقام دولة الإسلام لتعبير بوجودها عن وجود الإسلام، ولتتميز بتطبيقها للإسلام عن غيرها من دول الأرض. اللهم صلّ وسلام عليه وعلى آله الأكرمين الذين وقفوا معه، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم لينتصر الإسلام. أما بعد:

انه من يُمْنَنـ الطالع أن يصادف انعقاد مؤتمر الفكر الإسلامي الذكرى السنوية للإسراء، والمعراج، والإسراء يوم من أيام آٰءـ، ومن ملهمات هذه الأمة، يجدد شبابها، ويضيء دربها ويؤكـد لها أن الصراع بينها وبين أعداء الإسلام قدر محتوم لا مفر منه.

أيها الأخوة: قبل أن يتألق النجم، قبل أن يتألق نجم الإمام الخميني (قدس الله سره) كانت الأمة ممزقة، وبمعنارة، كل شعب مشغول بنفسه، غنى بمتاعبه، يسيرون جمِيعاً من ذيل القافلة الدولية، لا يقام لهم وزن ولا يحسب لهم حساب، يعيشون في حالة تبعية بغية للاشتراك أو للغرب أولئماً معاً، لم تكن لهم دولة تطبق أحكام الإسلام الإلهية، وتعبر عن وجودهم كأمة واحدة من دون الناس، لقد كان المسلمين في ضياع وقد أحبط بهم تماماً، ولفهم ليل دامس الظلمات إذا أخرجت يدك لم تكد تراها؛ هذا على صعيد الأمة، أما على الصعيد الدولي فقد تحكمت بمصير العالم الدولتان العظيمان: الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية في ركابها من جهة والاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية في ركابه من جهة أخرى. الغرب يتبنى الرأسمالية التحررية ويزعم أنه حارس الحرية، والشرق يتبنى الماركسية الشيوعية ويزعم أنه القيم على فكرة العدالة الاجتماعية، وقد قامت الحضارة الغربية بشقيها الرأسمالي التحرري والماركسي الشيوعي على أساس فصل الدين عن الدولة وفصل الأخلاق عن القانون، وقصر دور الدين على العلاقة الشخصية بين العبد وربه، على اعتبار أن الدين والأخلاق حاجات ليست علمية كما يزعمون. ومن هنا فقد أقصوا الدين كنظام الهي عن مسح الحياة، ومنعوه من أن يرشد حركة المجتمع السياسية أو أن يساهم في ترشيدها على الأقل.

تألق النجم الباهر

بهذه الظروف العصيبة من حياة الأمة الإسلامية لاح نجم الإمام الراحل آية الله الموسوي الخميني قدس سره، وكان قدره أن يواجه أعظم طاغية عرفه الشرق الحديث على الإطلاق، الشاه وأسياده في الغرب والشرق وأعوانه من جهة علماء الإسلام في إيران والشعب الإيراني المسلم بقيادة الإمام الخميني من جهة أخرى، فقداد الإمام الدعوة إلى الإسلام وبعون الله توفيقه حصلت القناعة بأن الإسلام هو الحل وهو الطريق، هو الوسيلة وهو الهدف، وعاش في يقين هذه القناعة الإمام القائد وعلماء الإسلام في إيران والأكثريه الساحقة من شعب إيران المسلم، ونجحت الدعوة الإسلامية في إيران نجاحاً ساحقاً؛ فكلمة واحدة من الإمام كانت تُخرج الملايين المسلمين من بيوتهم، ولأن الإمام لا يفصل بين العبادة وحركة المجتمع السياسية، ولأنه يؤمن أن الإسلام كله عبادة، وأنه ما جاء إلا ليقود حركة المجتمع السياسية في كل

الأمور، ولأنه يقتدي بالرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فبعد نجاح الدعوة الإسلامية في إيران قرر الإمام وخلفه علماء الإسلام وشعب إيران المسلم أن يقيموا دولة الإسلام في إيران، وبموازين الإسلام وحده، وبوسائل الإسلام نقل الدعوة إلى دولة. دعوة إسلامية تتمحzen بالضرورة عن دولة إسلامية تحكم بما انزل الله تعالى تماماً، لا تنقاد للشرق ولا للغرب، لا تتبنى التحريرية الرأسمالية، ولا تتبنى الماركسية الشيوعية، إنما تحكم وفق القواعد الإلهية، وتلك نقله نوعية في مسيرة النظام السياسي العالمي؛ فقد كان النظام السياسي العالمي قبل مجيء الإمام ونجاح الدعوة الإسلامية وتمحzenها عن قيام دولة الإسلام في إيران كان هذا النظام حكراً على الرأسمالية وعلى الماركسية الشيوعية.

قيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية

بقيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية تحطم تماماً المعادلة السياسية الدولية، فقد تبنت هذه الجمهورية نظام الله لتواجه به نظام البشر، وطبقت حكم الله لتواجه به حكم البشر؛ وهذه المواجهة على المدى البعيد معروفة النتائج ، فالبشر مخلوقة، والله هو الخالق، والبشر مهما كانت إمكانياته ناقص بطبعه إلا من عصم الله، والكمال الله وحده، فأي مناظرة موضوعية بين ما وصفه الله وما وصفه البشر محسومة أصلاً، واكتملت معالم وأساسيات هذه الجمهورية بالدستور الذي وضع موضع التطبيق وأثبت شجاعته وقدرته .

ماذا يعني قيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية؟

يعني أول ما يعني أنه قد تكونت للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها دولة ترمز لوحدتهم وتطبيق شريعتهم، وتصنع تحت تصرفهم الأمل بتحقيق وحدتهم وإقامة دولة تنمو وتنتسع حتى ينقاد كل المسلمين إلى القواعد الإسلامية، وحتى تضفي حمايتها على جميع المسلمين.

تحطيم المعادلة الدولية

النظام السياسي العالمي السائد قبل مجيء الإمام كان يقوم بجوهره على تبعية وانقياد المخلوق للمخلوق، وتبعية الأقلية للأكثرية، وتبعية المحكومين للقوانين التي يضعها الحكام وبنجاح الثورة الإسلامية الإيرانية تحكمت هذه القاعدة تماماً فأصبح الانقياد والتبعية الله وحده وأصبحت القواعد الإلهية هي وحدها تحكم البشر. وتلك أمور كان العالم يتتجاهلها تماماً .

المسلمون أمة واحدة من دون الناس، هذا قرار الهي، لا تملك قوة في الأرض تعديله أو تبديله {وإن هذه أمتك أمة واحدة، والأمة الواحدة لها دولة ولها إمام واحد يقود هذه الدولة، فمهمة المسلمين وواجبهم الديني يحتم عليهم أن يحققوا الوحدة بين الأمة وبين الدولة بحيث يكون للمسلمين كلهم دولة واحدة لأنهم أمة واحدة، وأن الدولة الإسلامية تطبق شرع الله {ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون} فلن يحدث خلاف لأن الخلاف مرتب بالهوى، وتطبيق الشعاع الإسلامي يؤدي للاستقامة ولسد باب التفرقة {وان هذا صراطي مستقىماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرقون بكم عن سبيله)، والعلم على تطبيق شرع الله واجب ديني على كل مسلم؛ لأن بتطبيقه السلام، وبتعطيله ال�لاك والبوار.

وبالسياق نفسه فإن الإمام يرى أنه بتحقيق الوحدة بين الأمة والدولة، والوحدة بين أفراد الأمة المسلمة، وبنتعاون الجميع في ظلال حكم الله، فإن الأمة الإسلامية ستصبح مهيأة لتلعب الدور الذي أناطه الله بها {وكذلك جعلناكم أمة وسطاء لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً}، عندئذ تحول الأمة الإسلامية إلى جسر عبر منه الهدایة إلى كافة أقطار المعمورة، فنعود ولا نُقاد، وتُفتح أبوابها ولا تَنْتَهِي.

كان الإمام يعلم أن هذه الأهداف كبيرة ومن الطبيعي أن يختلف، لكن الخلاف ينبغي أن يكون في إطار الإسلام، وإن لا يؤدي إلى التناحر والتقاطع، ولا ينبغي أن يمنعنا من أن نمضي قدماً ومعاً لتحقيق غاياتنا الكبرى كفريق واحد يتوزع الأدوار بينه.

الطريق ليست سهلة

لأن دول الكفر ستحاول أن توقع بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية التي تتبنى حكم الله ونظامه وبين الدول الإسلامية الأخرى التي تتبنى الأحكام والأنظمة الوضعية، وستحاول دول الكفر أيضاً أن توقع بين المسلمين، وتجسم اختلافاتهم بالرأي ضمن الإسلام طمعاً بالتفريق بينهم، وهي وبالتالي ستحاول أن تصفع العرافقيل أمام الإسلام حتى تحيل بين الناس وبين الانقياد — هذه أمور معروفة تماماً، فلقد كان لنا في رسول الله أسوة حسنة، فالمدينة المنورة كانت هي حدود دولته ثم اتسعت حتى شملت كل المسلمين، فرسول الله لم يحقق دولته بيوم وليلة، ولا انقاد الناس له بسهولة، وإنما قاوموه بضراوة لأنهم كانوا يتصورون أنه عدوهم — فإن علينا أن نقنع المسلمين بأن مصيرهم مرتبط بالإسلام، ومصير الإسلام مرتبط

بوجدهم سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا، وأن دعوة الإسلام ودولة الإسلام ليسوا ضد أحد من الناس، وإنما هم مشفقون وناصحون،وها هي كلمات الإمام يتجاوز صداتها في كل بعد:

"لو ملكت قوى الأرض كلها ما اعتديت على أحد، ولا ظلمت أحداً؛ لأن الإسلام لا يقر الظلم ولا يقر الاعتداء وإنني أمدّ يد المحبة لكل مسلمي الأرض على صعيد الأخوة الإسلامية".

والحمد لله أولاً وآخراً.